مسلم اليوم بين أمل الأقوياء ويأس الضعفاء

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 25 ربيع الثاني 1434هـ الموافق لـ 8 مارس 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ 01 ﴾ " سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿ 102 ﴾ " سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿ 70 ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ 71 ﴾ " سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة، نتناول موضوع:

مسلم اليوم بين أمل الأقوياء ويأس الضعفاء

معاشر الإخوة الكرام،

بعض النّاس عندهم روحٌ تشاؤميّةٌ تيئيسيّةٌ، لا يرون إلاّ السّواد، ولو أبصروا مُنْكَرًا عمّموه، ولو رأوا سلوكًا قبيحًا جعلوا كل النّاس سوادًا. مثل هذه النّفوس تُقْعِدُ القائم، وتشلّ حركة المجتهد، وتضعف عزيمة القويّ.

كنت في عيادةٍ، فسمعت أحد الرّجال يتحدّث ويذكر المساوئ في المجتمع، بطريقةٍ تجعل الواحد يهاجر من هذه البلاد من غده.

كم هو سهلٌ أن تحكم على الواقع بانحرافه، ولكنّ ذلك لا يغيّر شيئًا منه، وهذه ليست بطولةٌ، إنّما البطولة أن تسعى لتغيير تلك السّلوكات المنحرفة بما تقوى على فعله، روى مسلمٌ في صحيحه عن أبي هريرة، قال: قال صلّى الله عليه وسلّم:

(المؤمن القويّ خيرٌ وأحبّ إلى الله من المؤمن الضّعيف وفي كلٍ خيرٌ . . .).

ترى قُمامةً فتشكو، لكنّ الإيجابيّة أن تحملها وتضعها في مكان القمامة.

إنّ المولى جلّ جلاله حينما وصف نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، قال:

" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ 28 ﴾ " سورة سبأ.

وقد سبّق البِشارة على النِّذارة لما في ذلك من الدّلالة على بعث التّفاؤل في قلوب النّاس. وقد نهى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن تيئيس النّاس.

وروى مسلم في صحيحه، قال صلّى الله عليه وسلّم:

(إذا قال الرّجل هلك النّاس، فهو أهلكهم)،

قال القاضي عياض في مشارق الأنوار:

(إذا قال ذلك استحقارًا لهم واستصغارًا لا تَحَزُّنًا وإشفاقًا، فما اكتسب من الذّنب بذكرهم، وعجبه بنفسه أشدّ).

وقال مالك: **(معناه أفلسهم وأدناهم، فإن كان بالفتح فهو من الغالين، الّذين يؤيّسون النّاس من رحمة الله، وبرواية الضّم فهو أكثرهم هلاكًا، وهو الرّجل يولع بعيب النّاس، ويذهب بنفسه العجب).**

فالمسلم سواءًا مع نفسه أو مع المجتمع، لا بدّ أن ينظر إلى الأشياء بإيجابيّة، ويقف دائمًا على السّقطات ليعالجها، والتّقصيرات ليستكملها.

ولذلك أخرج البخاري من حديث عبد الله بن مِحْصَن الخَطْمِي، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

(من أصبح منكم آمنًا في سِرْبِهِ، مُعَافَى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنّما حيزت له الدّنيا بحذافيرها).

هناك من هو صحيحٌ معافى، ويملك قوت عامه بل عُمْرِه، ولكنّه غير راضٍ.

فالواحد إذا كانت له هذه النّظرة إلى الأشياء، لا يصيبه اليأس، فيُقْبِل على الدّنيا بقوّةٍ، ليُقَوِّمَ ويُصْلِحَ من حاله ويُنَمِّيهَا.

" . . . وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿ 87 ﴾ " سورة يوسف.

ولقد قَبِلَ الله تعالى توبة ذلك الّذي قتل 99 نفسًا وأتمّ المائة.

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري، قال: قال صلّى الله عليه وسلّم : { **كان فيمن كان قبلكم، رجلٌ قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على راهبٍ، فأتاه فقال أنّه قتل تسعةً وتسعين نفسًا، فهل له من توبةٍ؟، فقال لا، فقتله، فكمّل به مائة، ثمّ سأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُلَّ على رجلٍ عالِمٍ، فقال أنّه قتل مائة نفسٍ، فهل له من توبةٍ؟، فقال: (نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة ، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإنّ بها أُنَاسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنّها أرض سوءٍ)، فانطلق حتّى إذا نَصَفَ الطّريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرّحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرّحمة: (جاء تائبًا مُقْبِلاً بقلبه إلى الله)، وقالت ملائكة العذاب: (إنّه لم يعمل خيرًا قطّ)، فأتاه ملكٌ في صورة آدميٍّ، فجعلوه بينهم، فقال: (قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيّها كان أدنى فهو له)، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض الّتي أراد، فقبضته ملائكة الرّحمة}.**

هذا الحديث يدعو إلى التّفاؤل، يدعو إلى الرّجاء.

يدعو إلى عدم اليأس أمام أي مسألةٍ تعترض حياتك، تعترض مشروعك، تعترض طموحك، لا تقفل الأبواب أمامك وهي مفتوحةٌ، لا ترى إلاّ السّواد وأشعّة الشّمس قد غطّت الأفق.

تستطيع أن تُشعل شمعةً تضيء موقعك، إعمل لا تقل إنّ الظّلام دامسٌ، فمهما بلغ الظّلام لا يطمس نور شمعتك.

امحوا من قاموسكم (**لا أستطيع**)، (**فشلت**)، (**لا أقوى**)، (**الله غالب**)، (**لا يمكنني**)، هذه كلمات الفاشلين، كلمات الّذين ينهزمون قبل بدأ المعارك، كلمات الّذين يعيشون على حافّة التّاريخ ولا يصنعونه، والله تعالى بعث هذه الأمّة لتصنع التّاريخ المشرق للبشريّة.

ولقد علّم الله تعالى صحابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الأمل التّفاؤل، الإصرار على الوصول، الطّموح للإنتصار، ولقد وصف لنا المولى تبارك وتعالى حال الصّحابة يوم الأحزاب، فقال:

" أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿ 214 ﴾ " سورة البقرة.

أصابهم الفقر، وأصابهم السّقم والمرض، وزلزلوا خوفًا من الأعداء.

قولهم (مَتَى نَصْرُ اللَّهِ) يدعون بقرب الفرج والمخرج، فجاءهم جواب الله تعالى: " أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ "، هذه آياتٌ تدعو إلى التّفاؤل، إلى رجاء الفرج، إلى استشراف المخرج، تلك عقيدة المسلم وهو يواجه الحياة، وهو يتربّى على كتاب الله تعالى.

ولينظر الواحد إلى حاله اليوم، وليسأل الأجداد كيف كانوا يأكلون، وكيف نأكل اليوم، وأين كانوا يسكنون، وأين نسكن اليوم، وكيف كانوا يتنقّلون، وكيف نتنقل اليوم.

والإنسان ليس طعامًا وشرابًا فحسب، بل حريّاتٌ وكرامةٌ وعزةٌ وانتصارٌ للحقّ:

" وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿ 5 ﴾ " سورة القصص.

فلينظر أحدنا كيف كان العالم العربي الإسلامي قبل 30 سنة، من تكميم الأفواه وسوق النّاس بالحديد والنّار، ولننظر إلى حالنا اليوم، ومساحة الحريّة الّتي نالتها الشّعوب بنضالها ومطالبتها.

حقيقةً، الطّريق لا يزال طويلاً، والمسيرة لّما تنتهي بعد، ولكن لا ننكر أنّنا قطعنا جزءًا من الطّريق، وفي الطّريق عقباتٌ لا تزال تعيق السّير، لكنّها لا تمنع المسير لأنّ إرادة الله تعالى فوق الجميع، ولا يعجزه شيءٌ في السّماوات والأرض:

" إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿ 82 ﴾ " سورة يس.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله،

انظروا ماذا يقول النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لعديٍّ بن حاتم الطّائي، وهو يرغّبه في الدّخول للإسلام.

ثبت في مجمع الزّوائد للهيثمي، بحديثٍ مرسلٍ وإسناده حسن، وابن كثيرٍ في البداية والنّهاية:

(قال عدي بن حاتم: دخلت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو في مسجده، فسلّمت عليه، فقال: (من الرّجل؟)، فقلت: (عدي بن حاتم)، فقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وانطلق بي إلى بيته . . . ثمّ قال: (إيه يا عدي بن حاتم، ألم تكُ رَكُوسِيًّا؟)، قال قلت: (بلى)، قال: (أولم تكن تسير في قومك بالمِرْبَاعِ؟)، قال قلت: (بلى)، قال: (فإنّ ذلك لم يكن يحلّ في دينك)، قال قلت: (أجل والله)، قال عرفت أنّه نبيٌّ مُرْسَلٌ، يعلم ما يُجهل، قال:

(يا عدي، لعلّك ما يمنعك من دخول في هذا الدّين ما ترى من حاجتهم، فوالله لَيُوشَكَنَّ المال أن يفيض فيهم، حتّى لا يوجد من يأخذه.

ولعلّك إنّما يمنعك من الدّخول فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلّة عددهم، فوالله ليوشكنّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسيّة على بعيرها، حتّى تزور هذا البيت لا تخاف.

ولعلّك إنّما يمنعك من الدخول فيه أنّك ترى الملك والسّلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكنّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتِحَتْ عليهم).

قال فأسلمت، قال فكان عدي يقول : (مضت اثنتان وبقيت الثّالثة، والله لتكوننّ، وقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فُتِحَتْ، ورأيت المرأة تخرج من القادسيّة على بعيرها لا تخاف حتّى تحجّ البيت، وأيم الله لتكونن الثّالثة ليفيض المال حتّى لا يوجد من يأخذه).

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت وعافِنا فيمن عافيْت وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بْقَوْمٍ فِتنةً فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،
اللّهم إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يُقرّبنا إلى حبّك،
اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك،
اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة،
اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا،

اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،
سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت نستغفرك ونتوب إليك.